

أضواء البيان

@ 390 @ كاملة . والد ووالدة ، وولد كل يسلم قياده لأمره ، وإلى أقصى حد التضحية

حينما قال إبراهيم لإسماعيل ما قصه تعالى علينا { يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ } . .

إنه حدث خطير وأي رأي للولد في ذبح نفسه ، ولكنه التمهيد لأمره ، فكان موقف الولد لا يقل إكباراً عن موقف الوالد : .

{ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } ولم يكن ذلك عرضاً وقبولاً فحسب ، بل جاء وقت التنفيذ إلى نقطة الصفر ، كما يقال : . والكل ماضٍ في سبيل التنفيذ ، { فَلَا مَسَّ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَلَا لِلَّذِينَ تَبَعُوا } ، يا له من موقف يعجز كل بيان عن تصويره ويئط كل قلم عن تفسيره ، ويثقل كل لسان عن تعبيره ، شيخ في كبر سنه يحمل سكيناً بيده ويقلد ولده وضناه بالأخرى ، كيف قويت يده على حمل السكين ، وقويت عيناه على رؤيتها في يده ، وكيف طاوعته يده الأخرى على تل ولده على جبينه ؟ .

إنها قوة الإيمان وسنة الالتزام ، وها هو الولد مع أبيه طوع يده ، يتصبر لأمره ويستسلم لقضاء الله { سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ } والموقف الآن والد بيده السكين ، وولد ملقى على الجبين ، ولم يبق إلا توقف الأنفاس للحظة التنفيذ ، ولكن رحمة الله أوسع وفرجه من عنده أقرب ، { وَزَادَ يَدَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكْ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } . .

فكانت مناسبة عظيمة وفائدتها كبيرة خلدها الإسلام في الهدى والضحية . . وفي رمي الجمار ، إلى آخره ، وهكذا كلها في مناسك وعبادة وقربة إلى الله تعالى في تجرد وانقطاع ، ودوام ذكر الله تعالى . .

وهناك أحداث جسام ومناسبات عظام ، لا تقل أهمية عن سابقتها ، ولكن لم يجعل لها الإسلام أي ذكرى ، كما في صلح الحديبية . .

لقد كان هذا الصلح من أعظم المناسبات في الإسلام ، إذ كان فيه انتزاع اعتراف قريش بالكيان الإسلامي مائلاً في الصلح والعهد الذي وثق بين الطرفين وقد سماه الله فتحاً ، كما قال تعالى : { فَاعْلَمَ مَا لَمْ نَعْلَمْ وَآءٍ فَجَعَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا } .